Maalim
e-ISSN: 2600-6944 | p-ISSN: 2170-0052
Volume 17 Issue 1/ Juin 2024 PP. 317-331

# Memory and History in The Novel " women of Al-Mahmoudiya": A Semiotic Approach

**Wafiy hamlaoui** *
Larbi Ben M'hidi University - Oum El Bouaghi, Algeria.
wafiy.hamlaoui@univ-oeb.dz

**DOI:10.33705/1111-017-001-024**

**Received: 11/04/2024**
**Accepted: 07/06/2024**
**Published: 27/06/2024**
***Corresponding Author**

Citation :
hamlaoui,W. (2024).
Memory and History in The Novel " women of Al-Mahmoudiya:" A Semiotic ApproachMaalim I(1), 317-331

**Abstract:**

"This semiotic approach to the novel 'The Women of Al-Mahmoudiya: The Secret History of Khorshid in 200 Years' by the Egyptian writer MonirOtaiba aims to uncover the untold history of khorshidregion over the course of two centuries. The literary work in our hands transforms into a rich world of symbols and linguistic and non-linguistic signs that carry infinite meanings and interpretations, depending on various textual contexts. These symbols and signs allude to numerous social, political, and cultural issues experienced and still being experienced by both the Egyptian and Arab societies.

**Keywords**: memory; history; semiotics; women of AL-Mahmoudiya.

Maalim
© 2024 The Author(s).
Published by the High council of the Arabic language.
This is an open access article under the CC BY license

# الذاكرة والتاريخ في رواية "نساء المحمودية": مقاربة سيميائية

**د. وافيه حملاوي**
جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي، الجزائر.

**الملخّص:**

تأتي هذه المقاربة السيميائية لرواية (نساء المحمودية: التاريخ السري لخورشيد في 200 عام) للأديب المصري "منير عتيبة"، من أجل الكشف عن التاريخ غير المعلن لمنطقة خورشيد على مدار قرنين كاملين؛ حيث تحوّل العمل الأدبي الذّي بين أيدينا إلى عالم ثري من الرّموز والعلامات اللّغوية وغير اللّغوية التي تحتمل عددًا لا متناهيا من الدّلالات والمعاني الواجب تأويلها وفقًا لسياقات النص المتعدّدة. والتّي تحيل إلى الكثير من القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عاشها وما يزال يعيشها المجتمع المصري والعربي على حدٍّ سواء.

**الكلمات المفتاحيّة:** الذاكرة؛ التاريخ؛ السيميائية؛ نساء المحمودية.

**مقدّمة:** تتميّز الرواية العربية المعاصرة بتنوّعٍ كبير في الموضوعات والأساليب والأصوات، كما تتجاوز القضايا التقليدية، وذلك بتسليط الضّوء على المواضيع المتعلّقة بالمجتمع العربي المعاصر مثل: الهوية، والهجرة والسلطة والتحوّلات الاجتماعية والسياسية وغيرها، بتبني طرق جديدة ومبتكرة تتعامل بعمقٍ أكبر مع العواطف والتحوّلات الداخلية للشخصيات، ممّا يُعزّز بُعدها الإنساني ويجعلها تستجيب لمتطلبات العصر.

يُعدّ المنهج السيميائي أحد أهمّ المناهج النقدية التي تُعنى بفهم وتحليل الرواية العربية المعاصرة؛ حيث يُتيحُ فَهْمَ الرموز والعلامات، وهي عناصر تحملُ دلالاتٍ ومعانٍ تتجاوز المعاني السّطحية الطافية على النص، كما يُتيحُ المنهج أيضًا تحليل العلاقات الرمزية بين الشخصيات والأحداث، وفهم كيف تشكّل هذه العلاقاتُ مراكز قوّة وصراع وتوتّرٍ في الرّواية.

وتُعدّ رواية (نساء المحمودية) عملًا سرديا معاصرًا معتبرًا، تبنّى تقنيات سردية كثيرة، أسهمت في تصوير الواقع بكلّ تمظهراته: السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية، لذلك تمّ اختيارُ المقاربة السيميائية كمنهج للدّراسة من أجل رسم التطّور التاريخي في منطقة خورشيد وتفسير رموز اللغّة ومسارات الشخصيات وأنماطها، وإبراز مستويات الفهم المتعدّدة المتعلّقة بالطقوس والسلوكيات والعلاقات المكانية والزّمانية وغيرها.

**2.مفاهيم عامة حول المنهج السيميائي:** المنهج السيميائي من المناهج الحداثية التّي ظهرت في أوائل القرن العشرين مع المنهج البنيوي، حيث يقوم على تحليل الرموز والعلامات التي تُستخدَمُ لتفسير المعنى والدّلالة في الثقافة واللّغة والفنّ والإعلام والإعلان والعديد من المجالات الأخرى.

"تؤمن السيميائية منذ الخمسينات بأنّ كلّ محسوسٍ هو (نصٌ) مفتوح للقراءة، وذلك انطلاقًا من الخلفية الإبستيمولوجية الدالة على أنَّ كلّ ما هو حولنا سواء أكان حيًّا أم جامدا، يبث إشارات لا متناهية، وما علينا نحن المتلقّين سوى إبداء النية في التلقي، من خلال تفكيك عقلنا لهذه الإشارات وتأويلها"[1]. وقد "تعدّدت تسميات هذا المنهج؛ فالأوروبيون مثلا يفضّلون مفردة (السيميولوجيا) التزامًا منهم بالتّسمية السوسيرية، في حين أنّ الأمريكيين يفضّلون (السيميوطيقا) التّي جاء بها الأمريكي (تشارلسساندرز بيرس). أمّا العرب، وخاصة أهل المغرب العربي، فقد ترجموها بـ (السيمياء)، وهي مشتقّة من السِمة أو الوسم.وأيًّا كانت التّسمية فهذا المنهج ينتمي في أصوله ومنهجيته إلى البنيوية التّي هي نفسها منهج منتظم لدراسة الأنظمة الإشارية المختلفة في الثقافة العامة"[2].

"ينطلق التّحليل السيميولوجي دائمًا-على اختلاف أقطابه-من العلاقة التّي تربط الدال بالمدلول، أي على مفهوم العلامة الذي جاء به (سوسير)، والتي يُسميها (بيرس): البيئة الشاملة، و(رولان بارث): علاقة التكافؤ ضمن ما يُسمى (الإيحاء الكلّي)، أمّا (سوسير) فقد أصرّ على أنّ العلامة هي الوحدة الكاملة التّي تجمع كُلًّا من الدال والمدلول، وبالتالي فهي نتاج اتّحاد الدال (الصورة النّفسية) بمدلوله النفسي"[3].

وتُعدّ السيميائيات السردية أحد فروع السيميائية، وتركّز على عناصر السّرد المختلفة كالشخصيات والأحداث والزمان والمكان، وشتّى الرّموز المستخدمة في العمل السردي، وذلك بهدف فهم كيفية اشتغال هذه العناصر ونقلها للمعاني وفهم أنماطها ورموزها الخفية.

ومن أهمّ رواد السيميائيات السردية (غريماس)، حيث أشار إلى أهمية البنية السردية والتّركيب الداخلي للنصّ في فهم رسالة العمل السردي. ليأتي بعده الفرنسي (رولان بارث) الذّي طوّر هذا الميدان وأثراه، من خلال افتراض وجود الدّلالات عن طريق القارئ، وعدم اقتصار مفهوم الوظائف في الجملة فقط، بل تتعداه إلى الكلمة الواحدة أيضًا، وتأتي هذه الدّراسة بهدف توضيح كيفية تعامل السيميائية مع النّصوص السردية، وكانت رواية "نساء المحمودية" للأديب منير عتيبة المدوّنة السردية المختارة.

**3."نساء المحمودية" مقاربة سيميولوجية:**

1.3. **سيميائية العنوان:** "يندرج العنوان ضمن غلاف الرواية، وهو يشّكل أهمّ عنصر فيه؛ حيث تكمن أهميتُه في كون قراءة المتن مقرونة بقراءته، إنّه يقوم بدور الوشاية والبوح، ومن شأن هذه الوظيفة أن تُساعد في ضمانِ قراءة سليمة للرّواية، وفتح مغاليقها واستكناه دلالاتها"[4].

يتشكّل عنوان الرواية من جزأين: عنوان رئيس وهو (نساء المحمودية) وآخر فرعي وهو (التاريخ السري لخورشيد في 200 عام)؛ جاء العنوان الرّئيس باللّون الأخضر وبخطٍ غليظ وحجم أكبر من العنوان الفرعي، وهذا دلالة على أنّه الحامل الرّئيس للمعنى، والأكثر تعبيرًا عن الرّواية ومضمونها؛ فالرّواية تتضمّن العنوان ودلالاته، وكذلك العنوان يتضمّن الرواية ودلالاتها، لأنّ خاصية (التّضمين) أهمّ ما يميّز علاقة العنوان بالرّواية.

تضمّنت هذه الرّواية العنوان بألفاظه المباشرة وبمشتقاته، من خلال الثنائيات الكثيرة، وألفاظ الأنوثة وأسماء النّساء الواردة، إلى غير ذلك...، فليس غريبًا أن يكون العنوان (نساء المحمودية) مادامت كلّ أحداث الرواية تدور حول أربع نساءٍ، تصدّرن المشهد السردي وكان لهنّ الدّور الأبرز في تحريك الأحداث وتغيير مجراها والتّحكم فيها.

قد يتبادرُ إلى الذّهن سؤال مهم، وهو: لماذا نساء المحمودية وليس رجالها؟ والجواب ببساطة أنّ النّساء هُنَّ اللّواتي يحملن على عاتقهنّ حراسة التّاريخ والحفاظ عليه من الزّوال والاندثار، من خلال روايته وترسيخه في أذهان الأجيال عن طريق الحكايات والقصص، وهذا ما يحدث مع أغلبنا، حيث نتلقّى الحكايات من أمّهاتنا وجدّاتنا أكثر ممّا نتلقاها من آبائنا وأجدادنا.

في هذه الرّواية تروي النّساء تاريخ (خورشيد) والتّي تُعدّ مركزًا من مراكز محافظة "البحيرة" في مصر؛ حيث حفر (محمّد علي باشا) تِرعةً سُميت باسم المحمودية سنة 1820، تمتدّ إلى مدينة الإسكندرية وإلى مينائها، لتصبح هذه الترعة بمثابة شريان الحياة لكلّ مصر، حيث كانت البضائع تأتي إلى ميناء الإسكندرية لِتُشحَنَ على المراكب في هذه التّرعة، سائرة إلى مدينة المحمودية، لتنطلق بعدها إلى النّيل.

ولهذا جاء العنوان باللّون الأخضر دلالة على القيمة التي يتمتع بها هذا المكان، فهي منطقة خصبة مزدهرة، النّيل فيها أوسع من نيل القاهرة، أضف إلى ذلك نشاط الحركة التّجارية عند تأسيسها ونقل البضائع المختلفة، حتّى إنّه تمّ تشييد واحدة من أقدم محطات الكهرباء ليس في مصر فقط، وإنّما في الشّرق الأوسط كلّه، وهي "محطّة العطف الكهربائية". كما شهدت المنطقة حركات عمالية سياسية وأخرى دينية، فخورشيد لها تاريخ عريقٌ، كان لزامًا على الكاتب (منير عتيبة) أن يحكيه، ليصوّر لنا المراحل التاريخية التي مرّت بها المنطقة إلى أن أعاد الرئيس المصري (السيسي) افتتاح الترعة عام 2020.

**(التاريخ السري لخورشيد في 200عام)** هو العنوان المتفرّع عن العنوان الرّئيس، جاء باللّون الأسود وأقلّ حجمًا من الأوّل، وهي دلالةٌ على أنّه يشي لنا بأمورٍ لم يَشِ بها العنوان الرّئيس، وهو أنّ هذه المنطقة لها تاريخٌ سري مسكوتٌ عنه غامضٌ، لهذا جاء العنوان باللّون الأسود الذّي يُوحي بالأسرار والغموض، وما وظيفة النّسوة في الرواية سوى الإفصاح عن حيثيات هذا التّاريخ وإخراجه للعلن.

جاءت كلّ شخصية نسائية في الرواية لتحمل مرحلة من المراحل التاريخية:

**سنية:** حملت على عاتقها رواية تاريخ المنطقة فترة (محمّد علي باشا) وما قبلها بقليل؛

**عائدة:** تمثّل فترة الحرب العالمية الثانية التّي أثّرت على المنطقة؛

**صباح:** تحكي فترة حكم (جمال عبد النّاصر)، وحرب اليمن، وحرب 1967؛

**رضوى:** وهي تمثّل الفترة الحالية التّي نعيشها.

وبالتّالي تكون المئتي عام قد رُويت على لسان النّساء الأربع.

جاء عنوان الرواية واقعيا بعيدًا عن أية نزعة سواء أكانت عجائبية أم أسطورية أم مجازية... غلبت عليه الحروف الهمسية(الحاء، الشين، الخاء، السين، التاء)، وهذا يتماشى مع العنوان ودلالاته، فالهمس ينسجم تمامًا مع إفشاء الأسرار المخفية للمنطقة على مرّ التاريخ، خاصّة إن كان الذّي يبث هذه الأسرار هن النّساء. ولم يقتصر العنوان على الحروف الهمسية فقط، وإنّما كان للحروف الجهرية حضورٌ قويٌ أيضًا، وهذا ربما يكون دلالة على الصّعوبات التّي عاشتها خورشيد طيلة مئتي عام، والمآسي التّي مرّ بها أهلها. لقد وُفّق الكاتب في تخيّره لعنوان روايته، لأنّ العنوان هو الوسيلة الفّعالة لجذبِ انتباه القارئ وإثارة فضوله وتساؤلاته، كما أنّه يأتي كتلخيصٍ للمحتوى العام للرواية أو لأهمّ الجوانب الأساسية فيها، دون أن ننسى دوره في تحفيز القارئ على الإقبال على العمل الأدبي ومحاولة التنبّؤ بأحداثه وشخصياته وتفاصيله. و(نساء المحمودية) عنوانٌ على قدرٍ بساطته ووضوحه كان عمقه وإيحاؤه وتأثيره في نفس القارئ.

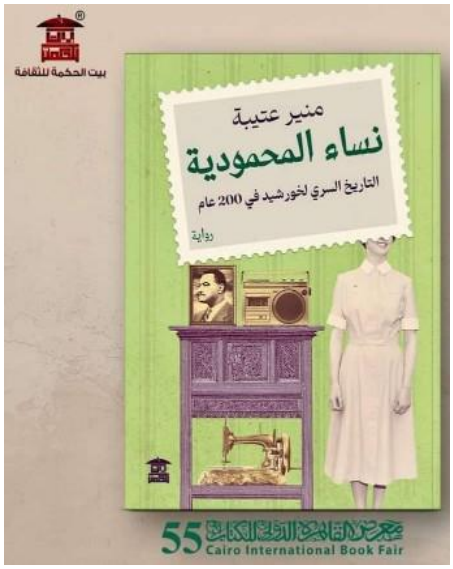


**2.3. سيميائية الغلاف:**

يُعدّ الغلاف الخارجي للأعمال الأدبية عمومًا والسردية خصوصًا عنصرًا مهمًا في تشكيل الصورة العامة للعمل؛ لأنّه يمثّل الوجهَ الأوّل للمدوّنة والحاملَ الأساسَ لعناصرها الرمزية والدلالية، من خلال الأشكال الموجودة عليه والتّصميمات والصّور والألوان وحتّى الكتابات. و"من المعروف أن اللّون يتّخذ قيمته انطلاقًا من البيئة التي تُحيط به (...) كما أنّه يمثّل مظهرًا من مظاهر الواقعية التّي تحمل الإرث الثقافي، حيث تتموضعُ في الألوان جملة من البنى الأسطورية الحضارية المشكّلة لثقافات الشعوب ودلالاتها الجمالية"[5].

يُعدّ اللّون الأخضر اللّون المهيمن على الغلاف والمشكّل لخلفيته، فهو الأصل والأساس، ولا يخفى على أحدٍ دلالة هذا اللّون في كلّ الحضارات ولدى كلّ الشعوب على اختلاف بيئاتها ومعتقداتها، إنّه رمزٌ للطّبيعة والحياة، يرتبط بالنّباتات الخضراء والأشجار والمروج، ممّا يعكس النّمو والحيوية، كما يرمز إلى الأمل والتجدّد، فَقُدُوم الربيع واخضرارُ الأرض يعكس البدايات الجديدة والأمل في المستقبل الثريّ والمزدهر. وَترعة المحمودية هي دلالة على كلّ هذه المعاني الجميلة، فبِحفرها قَدِمَ الخير للمنطقة وأهلها، يُحيل اللون الأخضر إلى الحقبة التي عاشت فيها (سنية) فالأرض ازدهرت على يدي زوجها (حسين) وأخويه، وأصبحت قبلةً لكلّ من يريدُ أن يحيا حياة كريمة، ويكسب قوته بعرق جبينهِ.

يأتي اللّون الأبيض الموجود على غلاف الرواية، ليُحيل بدوره إلى مجموعةٍ واسعة من الدّلالات والرموز؛ فهو في كثير من الثقافات يرمز إلى النّقاء الخالص والعفوية والبدايات الجديدة، كما يُعتبر مناسبًا للتّعبير عن النعومة والهدوء، وخلق جوٍّ يُعزّز الشعور بالسكينة والسلام. كما أنّه رمز للحقيقة الواضحة وضوح الشّمس التّي لا يشوبها شكٌّ أو غموض، وهي المعاني نفسها التّي عايشها وشعر بها من سكنوا ضفاف ترعة المحمودية، حياة بسيطة هادئة، تستمدّ سعادتها من الأرض والخضرة والهواء العليل، تحاول البقاء قدر المستطاع بعيدة عن المشاكل والفتن وكل ما يُؤرّق صفوها.

لكن وجود اللّون الرمادي يحدّ من اللّون الأبيض وحريته ويجعل له حدودًا لا يتجاوزها. الرّمادي يرمزُ إلى الحيادية، إنّه لونٌ مُحايد وغير متطرّف، هادئٌ ومتوازن. كما أنّه يرمز أيضًا إلى الثّبات والقوّة، إنّه لون متين، ويمكن استخدامه لتمثيل القوة الهادئة والثّبات في الظروف الصعبة، وهو يُمثّل حياة النّاس الطيبين والبسطاء في خورشيد وثباتهم رغم الظّروف الصعبة والفتن التّي مرّت بهم محاولة زعزعة ثبات المنطقة، إلّا أنّهم أبدوا ثباتًا وقوّة قَلَّ مثيلها.

على غلاف الرواية أيضًا انتشار منظّم ومتناسق للّون الأسود، تخلّل بعض تفاصيل صورة (جمال عبد الناصر) والمذياع وماكينة الخياطة، والطاولة، وَشَعْرِ الممرضة، ليتجاوزه إلى (اسم الكاتب) و(العنوان الفرعي) للرواية.

انبثقت عن اللّون الأسود دلالات كثيرة كان لها ارتباطٌ قوي بمتن الرواية، إنّه يعكس القوّة والسّطوة والثّبات، ويُستخدم في العديد من السياقات للتّعبير عن القوة الرمزية والسلطة العقلية، وهذا ما عبّرت عنه شخصية (جمال عبد النّاصر) و(عائدة) الممرضة اليهودية الموجودة على غلاف الرواية.

يعكس اللّون الأسود أيضًا الرُقي والكلاسيكية والأناقة البسيطة، كما يرمز إلى السرية والغموض؛ ورد اسم الكاتب (منير عتيبة) باللّون الأسود كما ورد العنوان الفرعي (التاريخ السري لخورشيد في 200 عام)، فهما واحدٌ ولا يتجزّءان، لأنّ "منير عتيبة" وُلد في هذه المنطقة وعاش فيها وكتب عنها وعن تاريخها المُعلَن والمسكوت عنه، فليس غريبًا أن يكون أحد أسرارها الخفية.

إضافة إلى الألوان السابقة، نجد حضورًا للّون البنفسجي الذّي لطالما ارتبط بالعالم الروحي والغموض، فهو يُستخدَمُ في العديد من الثقافات والتقاليد الروحية لتمثيل القوى الخفية والتواصل مع العوالم الأخرى، وهذا يعكس شخصيتي (سنية) و(رضوى) في الرواية؛ حيث كانت لهما تهويماتهما النّفسية وقدراتهما الخفية الخارقة على التّواصل مع عوالم أخرى غير بشرية. فـ (نساء المحمودية) مزيجٌ رائع ورائق بين (الواقعية) و(الواقعية السحرية) التّي طعّم بها (منير عتيبة) أحداث روايته، فنجح في جعلها تستثير فضول القارئ وخيالاته وتطلّعاته.

كانت هذه قراءة متواضعة في الألوان ودلالاتها السيميائية، ننطلق منها للحديث عن الصّور الواردة على غلاف الرواية.

**المرأة:** المرأة على غلاف الرواية ترتدي لباس الممرضات، لا يظهر وجهها بالكامل، وما يظهر فقط هو ابتسامتها السّاخرة، ملامحُ هذه المرأة هي نفسها ملامح شخصية (عائدة) في الرواية، وهي ممرّضة يهودية تشتغل في المستشفى الإسرائيلي بالإسكندرية ولها مخطّطات كثيرة من أجل زعزعة الأمن الدّاخلي لمصر، لهذا جاءت ابتسامتها في الصورة مستفزّة ساخرة، تنمّ عن نية خبيثة، أمَّا عدم إظهار عينيها فكان متعمَّدًا، وكأنّها إحالة إلى أنّه مهما تغيّرت الأعين والوجوه فإنّ ابتسامة هؤلاء واحدة ولا تتغيّر، لأنّ لهم هدفًا واحدًا فقط وهو زعزعة أمن الدّول، واغتصاب أرضٍ لم تكن في يومٍ من الأيام ملكهم-عن فلسطين نتحدّث-.

**البورتريه:** وهو صورة للرّئيس المصري جمال عبد الناصر، وهي الفترة التّي عاشت فيها (صباح)، بدا الرّئيس في الصورة وكأنّه يُشيح بوجهه عن الممرّضة اليهودية، ويقف بشموخ وعنفوان. صورة تجسّد معاني العروبة والاعتزاز والمقاومة.

**المذياع:** المذياع الذّي على الغلاف ليس خشبيا أي إنّه لا يشبه المذياع الذّي كان موجودًا في منزل (أمّ حسين)، لكنّ المذياع مهما كانت مادته وشكله، فهو يبقى أداةً تُذيع الانتصارات والانكسارات؛ وكانت إذاعة (صوت العرب) الأشهر حينذاك، لأنّها كانت صوت (عبد النّاصر) الذّي يُنادِي بالوحدة العربية، والوقوف في وجه العدوان الخارجي وقفة رجلٍ واحدٍ. فكلّما ذُكرت خطابات (جمال عبد النّاصر) ذُكرت إذاعة صوت العرب، التّي لم تترك منزلًا مصريا ولا عربيا إلّا دخلته. ووجود بورتريه (عبد الناصر) والمذياع، على الطاولة، دلالة على الرّقي والرّفعة، وإشارة إلى السلطة والحكم، وأن لا صوت يعلو على صوته في تلك الحقبة.

**ماكينة الخياطة:** وهي إحالة واضحة إلى شخصية (رضوى) إحدى النّساء اللّواتي حكين تاريخ خورشيد، حيث كانت الخياطة أهمّ شيء تتقنه في حياتها، وتجد فيه حريتها، حيث تفصّل الأقمشة كما تشاء وتخيطها على الوجه الذّي تُريد.

ووجود الماكينة أسفل الطّاولة يُوحي لنا بثنائيات كثيرة: (الأعلى/الأسفل)، (الحاكم/المحكوم)، (السلطة/المواطن)، وربّما أيضًا هي إشارة إلى أسوءِ الحقب الزمنية التّي مرّت بها مصر، في مقابل حقبة (جمال عبد الناصر) التّي مثّلت عزّ مصر والعرب جميعًا.

**الطاولة:** مصنوعة من الخشب وعليها نقوشات كثيرة، يَنبعِث منها عبق التاريخ والأصالة والتّراث، وهي دلالة على المبادئ والقيم التي على الشعوب دائمًا التمسك بها وعدم التّفريط فيها، وهذا النّوع من الطاولات لا يفقد قيمته أبدًا، بل على العكس تمامًا، كلّما مرت عليه السنون ازدادت قيمته ومكانته وأصالته.

**الطابع البريدي:** يتمّ غالبا رسم أشياء مختلفة على الطّوابع البريدية، تعكس تراث وثقافة البلد الذّي تمّ إصدار الطابع فيه، وتتنوّع الأشكال والمواضيع التي يتّم رسمها، فأحيانًا تكون صورة لشخصية أو علامات تاريخية ومعالم سياحية، وأحيانا أخرى تكون نباتات أو حيوانات مميّزة، كما يُمكن أن تكون عرضًا لفنٍّ تقليدي أو زخارف أو حرفٍ يدوية تميّز الثقافة المحلية للبلد. لكنّ الطابع الموجود على الغلاف يحمل على وجهه عنوان الرواية واسم صاحبها، وكأنّ هذه الرواية رسالة مختومة بختم صاحبها (منير عتيبة)، وموجّهة إلى القرّاء. وخورشيد وتاريخُها هي ما يطبع هذا الطابع البريدي ويُميّزه.

**3.3 سيميائية المكان:** إنّ الحديث عن (المكان) هو حديثٌ عن البيئة الجغرافية والفضاء الذّي يحدث فيه السّرد، كما أنّه يُمثّل الخلفية الجغرافية والمادية التّي تدور فيها الأحداث وتتطوّر معها الشّخصيات.

يتضمّن (المكان) عناصر مثل الموقع الجغرافي الفعلي، كالمدينة أو القرية أو الصحراء... كما يشمل أيضًا تفاصيل دقيقة عن البنية المعمارية للأماكن المختلفة، كالشّوارع والمنازل والمدارس وغيرها من المواقع.

بالإضافة إلى الجوانب الجغرافية والمعمارية، يمكن أن يشمل المكانُ أيضًا العناصرَ الثقافيةَ والتاريخيةَ المرتبطةَ به؛ فقد تكون العاداتُ والتقاليد والقيم الثقافية جزءًا من المكان، وتلعب دورًا في التّأثير على الشخصيات والأحداث في الرواية.

في هذه الرواية يعد (المكان) أبرزَ الأبطالِ؛ حيث إنّه يحتلّ دورًا مركزيا ومؤثرا، استطاع الكاتبُ أن يبرزه بشكل فريد وقوي، لدرجةٍ أصبح فيها المحورَ الرئيس للرّواية، كما تحوّل إلى مكوّنٍ بارزٍ يتفاعل مع الأحداث والشخصيات.

إنّ أبرز ما ميّز الأمكنة المهمة في هذه الرواية، هو ثباتُها رغم تغيّر الزّمن. فكم من حقبةٍ زمنية مرّت عليها وصبغتها بصبغتها، وهنا نجد أنفسنا أمام تناقضات وتحديات كثيرة تواجه الشخصيات في سياق المكان الثابت، وهذا التّغيّر المستمرّ في (الزمن) قد يؤدّي إلى تفكّك المكان وتغيّر طبيعته وتأثيره على الشخصيات والأحداث.

**المحمودية:** جاءت الرواية تحت عنوان (نساءُ المحمودية)، ليتجلّى لنا أن (المحمودية) هي أبرز الأمكنة في هذا العمل السردي وأهمّها على الإطلاق، لكنّ تأثير الزّمن على هذا المكان جعل الشخصيات والأجيال المختلفة تعيش تجارب متباينة كان لها أثر عميق على جوانبها النفسية والمعنوية وحتّى العقلية.

اكتسبت (المحمودية) دلالات رمزية مختلفة ومتباينة على مدى مئتي عامٍ من الزّمن؛ ففي الفترة التّي عاشت فيها (سنية)، كان هذا المكان رمزًا للبدايات الجديدة الجميلة حتّى لو كانت الظّروف صعبة وقاسية، فالمحمودية كانت المكان الذّي لجأت إليه (سنية) وزوجها (حسين) وأخواه بعد مغادرتهم لـ :(كفر الدوار) بسبب خلافات كثيرة مع والد زوجها، لكنّها رغم ذلك كانت سعيدة بجانب زوجها لأنّهما كانا على وفاقٍ تام، فحوّلا المكان من منطقة مليئة بالأحراش إلى جنّة تستقطب النّاس من كلّ مكان.

وبتطوّر الأحداث، تَتَحوّل (المحمودية) من جنّة إلى سجنٍ بالنّسبة لـ :(سنية) وذلك بعد أن تزوّج (حسين) من (عليات) رغبةً في الولد، فأصبحت تلعن المكان وكلّ مافيه وحتَّى مَنْ أَمَرَ بِحَفْرِ ترعة المحمودية، فهذه الأخيرة كانت

بالنّسبة لها رمزًا للهوية الشخصية والانتماء، لكنّها الآن أصبحت تشكّل تحديا وغربةً لا يُمكن التأقلم معها بأيّ حالٍ من الأحوال، لذلك فضّلت الخروج إلى الأحراش والجلوس هناك لساعات طويلة، صحبة الذّئاب والهوام والوحوش.

أمّا بالنّسبة لـ: (عائدة) فـ (المحمودية) كانت رمزًا للاحتواء والحماية، لقد كانت ملاذًا لها عندما قدمت إليها لأوّلِ مرّة، حينها كانت فارة خائفة من أن تتمّ معاقبتها من طرف الألمان بسبب قتلها لألماني في المستشفى الإسرائيلي. لقد كان المكان دِرْعًا احتمت به لفترةٍ طويلة قبل أن يتمّ كشف ألاعيبها وأنّها جاسوسةٌ لصالح الإنكليز الذّين وعدوها بإرسالها إلى (أرض الميعاد). لكن بعد خمسة وثلاثين عاما تعودُ (عائدة) إلى المحمودية، وهذه المرة يكتسب المكان مدلولات جديدة، ليمثّل بذلك السطوة والقوة والسلطة والتحكم، فـ (عائدة) التي قدمت إليه قبل سنوات لاجئةً شريدةً، هي اليوم عضوٌ منتدبٌ في شركةٍ متعدّدَة الجنسيات تعمل في مجال صناعة الإسمنت الذّي كان يذهب إلى الكيان الصهيوني مسهمًا في مشاريعهم الحقيرة ضدّ إخوتنا في فلسطين. ثم عادت (عائدة) وكلّها حقد ونقم على المكان وأهله، فعلى الرّغم من أنّ المكان واحدٌ، إلاّ أنّ نفسية الشخصيات تتغيّر بتغيّر الزّمن وتطوّر الأحداث.

بالنّسبة لـ (صباح) لطالما كانت (المحمودية) بمثابة السجن والغربة والوحشة والوحدة، فقد قضت جُلَّ حياتها تنتظر (حسين) زوجها، الذّي كان يُشارك في حرب اليمن، بعدها في حرب 06 أكتوبر 1973، لينتهي به الحالُ أسيرًا في سجون العدو، ليموت هناك دون أن تراه، وبعدها بأشهر قليلة دفنت ابنتها الرّضيعة، التّي كانت كلّ ما تبقّى لها من زوجها، وبعد سنوات طويلة من الوحشة والحزن والعزلة، ماتت في منزلها فترة الحجر الصحي (كورونا)، لتُضيف بذلك عزلة أخرى إلى عزلتها، وسجنا آخر إلى سجنها المقيت. فعلى الرّغم من التغيرات التي حدثت في المكان على مرّ السنوات، إلاّ أنّه لم يطرأ تغيّر واحدٌ على نفسية (صباح)، فكلّ ما عرفته هو الشعور بالغربة والوحدة.

في الفترة التي عاشت فيها (رضوى) لم تعد المنطقة كما كانت من قبل "أصبحت ترعة المحمودية مجرّد خطٍ صغير من الماء بين طريقين واسعين، وفي بعض المناطق تحوّلَت إلى مواسير ضخمةٍ غطاها الطريق. لم تعد هي ذات المحمودية التي تغسل النّساء "بموردتها" المواعين وملابس الأطفال الرضع، ويتسابق الأولاد سباحة بها (...)"[6]، أصبحت المحمودية ملوّثة وضيقة مذ كانت أوسع من النّيل نفسه، ومن المعروف أنّ المكان يؤثر على المزاج العام والنفسي للشّخصيات، وبالتّالي يؤثر على ردود أفعالهم وتفاعلاتهم. بقيت (رضوى) حبيسة منزلها لفترة طويلة جدا وذلك نتيجةً لتدهور حالتها الصحية، لكنّها قرّرت الخروج لأوّل مرة عند إعادة فتح المحمودية على يد الرّئيس المصري (عبد الفتاح السيسي)، وكأنّ عودة الحياة للتّرعة هي عودة حياة لها ولروحها.

لقد شهدت المنطقة تحوّلات كثيرة على مرّ السنوات، لكنّها على الرّغم من ذلك تمثّل رمزًا للثّبات والتقاليد والهوية، كما أنّها تمثّل التّغيير والتطوّر والمستقبل، ويُمكن استخدام هذا التّباين لاستكشاف مفهوم الحنين إلى الماضي، والتّواصل مع التحديات الجديدة والتغيرات التي يجب التكيّفُ معها.

وبالتّالي فـ (منير عتيبة) قد وظّف المكان الثابت والزّمن المتغيّر من أجل استعراض تأثير الزمن على المكان والشخصيات، والتحولات النفسية والتحديات التي يتعيّن على الشخصيات مواجهتها.

**قصر الجزيري:** اشترى (الجزيري) أملاك ورثة خورشيد باشا، وبنى قصره الذّي كان من أجمل المباني، حتّى إنّه كان يفوق مباني الإسكندرية جمالًا، وهذا بشهادة اليهودية (عائدة) نفسها القادمة من الإسكندرية. كان القصر أكبر مبنى في منطقة خورشيد كلّها، وكِبَرُهُ هو رمز للشّموخ والعراقة، كما يُمثّل حصنًا منيعًا لأهلِ المنطقة، وسندًا لهم وعونًا على متاعب الحياة وقسوتها. ورمزية المكان هي ما جعلت (عائدة) تحاول الدخول إليه وكشف أسراره،

ومحاولة جمع أكبر كم من المعلومات عنه لصالح الإنكليز، في مقابل الحصول على امتيازات في أرض الميعاد. اعتاد العدوّ دائمًا الضّرب في مناطق القوّة والارتكاز، والجزيري هو نقطة ارتكاز المنطقة ورمز قوّتها، لكن للأسف تحالف وتكالب عليه الأعداء، كما حاولوا التّكالب على مصر كلّها؛ فاقتحم المصريون والإنكليز والهنود واليهود قصره.

بعد ذلك لم تعد للقصر أيّة قيمة، فالعدوّ قد ضرب بيدٍ من حديد، وما انتزاع (عائدة) للقطعة النّحاسية من رقبة (حسين أبو حسين) سوى دلالة على انتصارها، لتعود بعد خمسٍ وثلاثين سنة إلى خورشيد محقّقة حلمها في امتلاك الأرض، فقد شُيِّدَ مصنع الإسمنت على أرضِ القصر بعد هدمه، والأرضِ المحيطة، وشَهِدَ هذا الهدمَ أجيالٌ مختلفة متمثّلة في (عائدة)و(صباح) و(رضوى)، وكأنّها شهادة حيّة على الهزيمة. وما يثبت هذه الخسارة أكثر ويعزّزها في ذهن القارئ هو دفن (انتصار) تحت أنقاض قصر الجزيري. منذ أن كان المكان شامخًا عزيزًا بشموخ قصر الجزيري، أصبح مكانًا لهذا المصنع الذّي تسبب دخانُه في تلويث الجوّ وتسميم حياة النّاس، ولم يقف عند هذا الحدّ فقط، بل تجاوزه إلى تصدير الإسمنت إلى الكيان الغاصب. وهي ضربة موجّهة لخورشيد ومصر كلّها، ليس من الخارج فحسب بل من الدّاخل وفي عُقر دارها أيضا.

**المستشفى الإسرائيلي:** في مقابل قصر الجزيري، ورمزيته، نجد للمستشفى الإسرائيلي رمزية أيضًا، أنشأ هذا المستشفى عائلاتُ الطائفة اليهودية في الإسكندرية لخدمة أبنائهم صحيا، لقد كان صَرْحًا دخيلًا تمامًا كما كان أصحابُه، ليتمّ لاحقًا تحويله إلى مستشفى الطلبة بسبورتينج. شهدت على المستشفى بطلتان من الرواية وهما (عائدة) اليهودية التّي كانت تشتغل فيه كممرّضة، وكان أوّل يوم عملٍ لها فيه هو تاريخ بلوغ (هتلر) مستشارًا لألمانيا، وقد تكون دلالة على التّهديد الذّي كانت طائفتها تتعرّض له، وكأسلوبٍ دفاعي منها قامت بقتل ألماني داخل المستشفى إكرامًا لِـ: (إبراهام) حبيبها الذي كان من أبناءِ طائفتها أيضًا.

كانت (رضوى) في صغرها تخضع للعلاج في ذات المستشفى وهذا بعد تغيير اسمه، حيث كانت ترى كلّ ليلة طيف (عائدة) وهي تقتل الألماني الذّي كان يصرخ بكلمات لم تفهمها. غادر الخونة المستشفى، ولم تبق سوى أطياف خيالاتهم، والرعب الذّي تسببوا به للنّاس، فمآل الغريب والخائن دومًا إلى زوال، والأرض لأصحابها مهما طال الزّمن.

4.3 **سيميائية الزّمان:** يُمثّل الزّمن في الرّواية عنصرًا مهما في تطوّر القصّة وتكوين الهياكل السردية، كما أنّه يحمل معانٍ ورموزًا كثيرة تُفهَم من خلال السياق العام للرّواية.

لقد كان للزّمن في (نساء المحمودية) دورٌ كبير في إبراز ملامح كثيرة من الرّواية، وتوجيهها توجيهًا معينًا من قِبَلِ الكاتب بهدف إيصال رؤيته وتوجّهه للقارئ، وفيما يلي أهمّ الدّلالات التّي مثلها الزّمن في هذه الرواية:

**الحنين واستذكار الماضي:** لقد جاء الزّمن لاستذكار الماضي بكلّ تفاصيله، عن طريق توظيف تقنية الاسترجاع (الفلاش باك) في مواضع كثيرة، فمنذ البداية كانت الرواية عبارة عن (فلاش باك) حين وقفت (رضوى)أمام المرآة لترى في عالم مواز صورة (سنية)، التّي تشبهها إلى حدّ كبير، باستثناء بعض الفروقات البسيطة بينهما، وتنتقل من (سنية) لتستذكر (عائدة) ثم (صباح)، لتعود بعدها مجدّدًا إلى الزمن الحاضر. لقد كانت النّقلات الزمنية في الرواية سلسةً جدا، ولا تدع المجال للقارئ ليشعر بأنّ هناك هُوةً أو سقطةً زمنيةً، أو فجوةً يُمكن أن تتسبّب في زعزعة حبكة العمل السردي. وساعد (الاسترجاع) أيضا في إلقاء الضّوء على علاقات الشخصيات وتطوّرها عبر الزّمن، كما كشف عن لحظات ماضية أثّرت في العلاقات الحالية بين الشخصيات، وهذا سيوفّر حتمًا تفسيرًا للتوترات

والصّراعات الموجودة في الحاضر. كما اسْتُخْدِمَتْ هذه التقنية أيضًا في تبيين تحوّلات كلّ شخصيات الرواية وخاصة الرّئيسة منها، وهذا من شأنه أن يكشف عن أسرارٍ ورؤى جديدة أسهمت وتسهم لا محالة في تغيير نظرة القارئ بخصوص الشخصية وتركيبتها. وبالتّالي فتوظيف الفلاش باك (الاسترجاع) قد أسهم بشكل كبير في توفير معلومات إضافية عملت على التّركيز على العلاقات الشخصية، وإظهار تحولات الشخصيات، وإثارة التوتُّر والتشويق.

**الزّمن رمزٌللتّحولات:** لقد جاء الزّمن في (نساء المحمودية) عاكسًا لتغيّرات وتحوّلات كثيرة وقعت على مدى مئتي عام، حدثت في المجتمع العربي عمومًا والمصري خصوصًا. وجاءت هذه الرواية لتقدّم للقارئ معارف كثيرة وأحداثًا تاريخية وسياسية واجتماعية وقعت فعلًا، طعّمها الكاتب بالخيال، حتّى يتسنّى للقارئ رؤية التّاريخ رؤية جديدة من زاوية مغايرة وفي الآن ذاته بمرونة أكبر، حتّى إنّ المتلقي لا يكاد يرى ذلك الخيط الرفيع الذّي يفصل الواقع عن الخيال. لقد كان للزّمن في هذه الرواية دورٌ كبير في إبراز أهم التّحولات السياسية التّي حدثت في مئتي عام، بدءًا بالفترة التي كانت فيها مصر تحت حكم **السلطان محمود الثاني التركي**، مرورًا بـ: الاحتلال البريطاني لمصر من سنة (1882-1956)، لتأتي فترة حكم الرّئيس **جمال عبد الناصر**(1956 إلى غاية وفاته سنة 1970)، يَلِيها حكم الرّئيس **أنور السادات**، ليأتي بعده الرّئيس **حسني مبارك**، الذّي امتد حكمه من 1981 إلى 2011 أين تمت الإطاحة به، مرورًا بـ **محمّد مرسي**، وصولًا إلى **عبد الفتاح السيسي**.

لقد كانت الرواية مسحًا لأهمّ الأحداث السياسية التّي وقعت؛ كالقصف الألماني على الإسكندرية، وحرب اليمن وحرب 1967، وكيف استغلّت إسرائيل الفرصة لتوجع مصر وتحتلّ أرضها، وتؤسّس كيانها الغاصب في فلسطين، كما سلّطت الرواية الضّوء على حرب 6أكتوبر1973التّي شنّتها مصر وسوريا على إسرائيل، وصوّرت انتفاضة المصريين على حكم حسني مبارك والإطاحة به، إلى غير ذلك من التحوّلات السياسية التّي أجاد الكاتب التّعبير عنها من خلال تصوير الصراعات السياسية وتغيّر نظام الحكم والأحداث والقوى المختلفة.

إنّ للتحوّلات السياسية دائمًا انعكاسًا على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وقد استخدم الكاتب الزّمن كوسيلة لإظهار هذا التأثير على النّاس والمجتمع. فعند قراءة الرواية تتضّح للقارئ التغيّرات الاجتماعية التّي تحدث مع مرور الوقت؛ حيث صوّرت الرواية الطبقاتِ الاجتماعية، والأعراق والدّيانات وتباين مستويات المعيشة، كما صوّرت التحوّلات الاقتصادية وتأثيرها على الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية: "فتح أحدهم حنفية المياه في الحمام فَسُمِع انسكابُ المياه كأنّه يُبشِّرُ بحياة جديدة ليس فيها تعبُ الأيام السالفة من الذّهاب والإيابِ إلى حنفية القرية (...) سيكون كلّ شيء بالبيت، الماء والكهرباء (...) واستُبدل بوابور الجاز ببوتاجاز ثلاث عيون(...)"[7].

كما كشف الزّمن في الرواية أيضًا عن التحوّلات الثقافية وتأثيرها على الفرد والمجتمع، وعكس التغيّرات في القيم والمعتقدات والعادات والتقاليد والفِكر والأيديولوجيات، وتصويرُ (منير عتيبة) لمرحلةِ الثّورة في مصر وخورشيد وانعكاسها على الذّهنيات والأيديولوجيات كان دقيقًا واحترافيا، فها هو مثلًا يُصوّر لنا الأخبار المبثوثة على التّلفاز؛ فعلى الرّغم من أنَّ الخبرَ واحدٌ، إلّا أنّ كلّ قناة تُذيعه وفقا لتوجّهها وأيديولوجيتها:

"ميادين مصر الكبرى مزدحمة بالناس، لو رششت الملح على الرؤوس فلن تجد مكانًا على الأرض.

ميادين مصر الكبرى خالية لا أحد فيها (...).

شبابٌ أطهارٌ يحبون أوطانهم قرّروا دفع أعمارهم فداء للوطن.

شبابٌ عملاء يريدون حرق الوطن. (...)"[8].

بعد الثّورة تغيّرت ذهنية كثير من النّاس مواكبةً للتيار السّائد آنذاك؛ فها هو (حمادة ميكي) اللصّ، يصبح شعاره بعد الثورة "**إسلامية إسلامية**"[9] وها هو (البدري) زوج (رضوى) الذّي لم يتوقّف يومًا عن الإساءة لها، يطلب منها ارتداء النّقاب، ويا لها من مفارقات عجيبة !.

لقد أبدع (منير عتيبة)-في نظرنا-في تطويع الزّمن لخدمة رؤيته الخاصة لمصر والعالم العربي، لقرنين كاملين من الزّمن، واستطاع أن ينقلنا بين كلّ تلك الحقب الزمنية بمرونة وسلاسة، دون أن نشعر بالملل أو بوجود فجوات زمنية.

5.3 **سيميائية الشخصيات:**

1.5.3 **شخصية رضوى وسنية:** (رضوى) هي الشخصية الأولى في الرواية، حيث ينطلق السّرد معها ويعود إليها، فهي نقطة الانطلاق والوصول في آن، لقد مثّلت هذه الشخصية الفترة التّي عاشت فيها بدقّة، والمشاكل التّي تعيش فيها النّساءُ إلى يومنا، فبعد مئتي عامٍ من الزّمن، لا نكاد نرى فرقًا بين حياة (رضوى) وحياة (سنية) الجدّة الكبرى؛ فالذّهنيات هي تقريبًا نفسها. إلّا ما تغيّر منها في بعض المناحي البسيطة؛ فهل يُعقل أن تُرْغَمَ المرأةُ اليوم على الزّواج بمن لا ترغب به، وهل يُعقل أن تُحرم من الميراث، وأن يتمّ التحرّش بها حتّى من أقربِ النّاس إليها، كلّ هذه المعاناة عاشتها (رضوى) وتأذّت جرّاءها. وتُعدّ (سنية) وجهًا من وجوه (رضوى) الكثيرة التّي تتراءى لهذه الأخيرة في المرآة "كانت رضوى تنظر إلى سنية وكأنّها تنظر إلى وجهها هي: الشّبه لا تخطئه عين، الوجه المدور، والغمازة في الخدِّ الأيمن، العينان السوداوان الواسعتان، والحزن العميق القابع فيهما، سنية تشبه رضوى تمامًا، لكنّها أكثر رشاقة، أو للدقة أكثر نحافة"[10]. فكلتاهما كانتا تفرّان إلى عوالم أخرى حين يَضيق بهما الحال، فتجدان من الراحة والرضى الكثير. وقد عانت كلتا المرأتين من إعاقة -إن صحّ لنا تسميتها بذلك-فـ(رضوى) عانت من العرج، الذي تسبب لها في التعرّض للتنمّرِ في صغرها، ما أدّى بها إلى ترك مقاعد الدراسة، والغريب أنّها سعدت بذلك، وكانت ترى في البيت ملاذها إلى أن تزوج أخواها، فأصبحت مجدّدًا تتعرّض للإقصاء والتنمّر، وهذه المرّة داخل منزلها، فلم تجد مفرّا من ذلك سوى بـ"جرش الملح" الذّي تسبّب لها بمشاكل صحية فيما بعد، أضف إلى ذلك بناؤها لشبكة وهمية مع عوالم أخرى تعتقد أنّها التّي تنتقم لها من كلّ أولئك الذّين آذوها.

بالنّسبة لـ: (سنية)، فهي الأخرى عانت من العقم لسنوات طويلة، وكانت في كلّ مرّة تلجأ إلى الوصفات الشعبية المساعدة على الحمل، حتّى لا يضيع زوجها (حسين) من يدها، لكن ما كانت تخاف منه وقع فعلًا، حيث تزوّج من (عليات) التّي أنجبت له الولد. هذه الأوضاع أثّرت كثيرًا على (سنية) وجعلتها تُعاني مشاكل نفسية كثيرة، حيث بدأت تجنح إلى العزلة والتوغّل في عالم الوحوش البرية والذّئاب، إلى أن أضحت كائنا مخيفًا يخشى كلُّ من يقترب منها من لعنتها.

إذن (رضوى) و(سنية) وجهان لعملةٍ واحدة، كلتاهما أحبّت بصدقٍ، فـ (سنية) فقدت زوجها بعد سنوات حبّ طويلة، أمّا (رضوى) فحظيت بـ (ماهر) حبّ حياتها بعد سنوات طويلة من حرمانها منه. وكان ذلك بعد طلاقها من (البدري) الذي زُوّجت له مكرهة، وتزامن طلاقها منه مع الثّورة في مصر، وكأنّ هذه الأخيرة إيذانٌ ببدايةٍ وولادة جديدة، لمصر وخورشيد وكلّ فَردٍ من أفرادها.

تتخبّط معظم النّساء في مجتمعاتنا كطائرٍ جريح، تخضع دائمًا لعادات وتقاليد لم ينزل الله بها من سلطان، تعيشُ حياة ملؤها التحدّي، حتّى تحقّق ولو قدرًا بسيطًا ممّا حلمت به.

2.5.3 **شخصية عائدة:** تختلف شخصية (عائدة) عن باقي نساء الرواية، وهذا من عدّة نواحٍ، أهمّها: أنها لا تحمل دم باقي النّسوة ولا معتقدهم ولا ذهنيتهم ولا أهدافهم.

(عائدة) رمز للخيانة والجوسسة والتفرقة والمكر والغدر، أي إنّها رمزٌ لكلّ ما يُهدّد أمن الوطن ووحدة الصفّ، تمكّنت من التوغّل في خورشيد بذكائها ومكرها، وإجادة استغلالها لأنوثتها التّي أضعفت بها (حسين أبو حسين).

(عائدة) منذ البداية كان لها هدفٌ واضحٌ لم تُخطِئْه، كما حاولت بشتّى الوسائل الوصول إليه. إنّها إحدى العيون الكثيرة التّي يتمّ دسُّها بيننا، تحمل قضيّة محدّدة على عاتقها، فلا تستسلم حتّى تصل إلى مبتغاها.

اسم (عائدة) له رمزية "العودة"؛ فلأنّها تحمل على عاتقها قضية مهمة -من وجهة نظرها- كان عليها العودة ولو بعد زمن طويل. عادت (عائدة) بعد خمس وثلاثين سنة لتتملّك الأرض وتتحكّم في مصير الآخرين، فعمَلُهَا كعضوٍ منتدب في شركة الإسمنت التي بنيت على أرض قصر الجزيري بعد هدمه، هو إحالة واضحة على الانتصار والتملّك، ولم يتوقّف الأمرُ عند هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى الإضرارِ بصحّة سكان المنطقة نتيجة غبار الإسمنت المتصَاعد من المصنع، و(انتصار) ابنة (صباح) و(حسين) كانت إحدى ضحاياه.

مشروع مصنع الإسمنت هو من بين ملايين المشاريع عبر العالم التّي تدعم الكيان الصهيوني في اغتصابه للأرض المقدّسة، لكن ماهو مؤلمٌ أكثر أن يأتي هذا الدّعم من بلادنا بقصدٍ أو بغير قصد.

لا تتوقّف أهداف (عائدة) وغيرها بموتها، لأنّ لهم دائمًا ورثة يحملون مشعل مشاريعهم الماكرة، وهذه النّقطة أجاد الكاتب تصويرها، حينما صوّر طرد (إبراهام ديفيد) وهو ابن عائدة لـ (ماهر) زوج (رضوى) من مصنع الإسمنت، لأنّ له ولأمثاله الكلمة العليا، كما أنّهم مهيمنون على اقتصادِ العالم، وهذه أكثر نقطة قوّة ارتكزوا عليها.

عالج (منير عتيبة) هذه النّقطة الحساسة استنادًا للعديد من التّقنيات التّي جعلت العمل الأدبي يميل إلى التلميح والترميز أكثر من التّصريح وهذا ممّا يُحسب له.

3.5.3 **شخصية صباح:** (صباح) رمز للمأساة الحقيقية التّي يمكن أن يعيشها الإنسان، عانت منذ صغرها من أبيها غير المهتمّ، وزوجته القاسية، لم تحظَ بتعليم يحفظ كرامتها، وهو ما كان سائدًا بكثرة في مناطق الظلّ، فحتّى عندما أحبّت (حسين) لم تكتمل فرحتها، لأنّه ذهب للحرب في اليمن في عهد الرئيس (جمال عبد النّاصر) وكلّه إيمانٌ أنّ جيش الأحرار سيحقّقُ لليمنيين ثورة نجاح كثورة مصر، لكنّه بعد خمس سنوات من ذهابه لليمن قال لـ: (صباح) :"ذهبتُ لأحرّر اليمن، ففقدتُ أرضي يا صباح"[11]، فالتهاؤهم باليمن مكّن إسرائيل من أرضهم. لقد كان للأوضاع السياسية تأثير مباشر على حياة (صباح) فحتّى يوم زفافها الذّي انتظرته طويلًا أضحى مأتمًا لأنّه صادف وفاة (جمال عبد الناصر)، وحالها حال الكثيرين ممن تأثّرت حياتهم في تلك الحقبة؛ فالوطن يحتاج إلى تضحيات كثيرة من أبنائه.

استمرّ ألم (صباح) التّي لم يعد زوجها من الحرب على الرّغم من تحقق النّصر-في عهد (السادات)-لأنّه قضى نحبه في سجون العدو، كما فقدت ابنتها (انتصار) بعد مدّة قصيرة وهي رمزية للهزيمة وليس للانتصار، وتمّ دفنها تحت أنقاض قصر الجزيري، وهي هزيمة أخرى إضافة للهزيمة الأولى.

كانت هذه مقاربة سيميائية لرواية (نساء المحمودية) حاولنا التّركيز فيها على أهمّ المقولات السردية، التّي ارتأينا أنّها الأكثر تشبّعًا بالدّلالات والرّموز المختلفة، بدءًا بالغلاف والعنوان مرورًا بالمكان والزّمان وانتهاءً بأهمّ الشخصيات. مع العلم أنّ الرواية ثرية وتبنّت العديد من التّقنيات السردية التّي جعلت مقاربتها بمنهج واحد لا يفيها حقها من الدّراسة، وبالتّالي يبقى المجال مفتوحًا أمام من يُريدُ مقاربتها بمناهج أخرى ومن نواحٍ مغايرة.

**خاتمة:**

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثية إلى أنّ رواية (نساء المحمودية) لـ: منير عتيبة نصٌ من النّصوص السردية المعاصرة التّي عبّرت على أوضاع المجتمع العربي برؤية فنية وأيديولوجية، حيث وظّف صاحبُها كلّ ما أوتي من تقنيات وآليات سردية تدخل في إطار التّجريب الروائي المعاصر من أجل إيصال رؤيته ومفهومه للمجتمع المصري عمومًا، ومجتمع منطقة خورشيد خصوصًا، وهي المنطقة التّي وُلد وعاش فيها الأديب إلى يومنا، فلا وُجود لمن هو أقدرُ على التّعبير كالأديب الذّي ينحدرُ من المنطقة ويعرفُ عنها كلّ كبيرة وصغيرة.

لقد كانت الرواية عالمًا يعجّ بالرموز والعلامات المحمّلة بالدّلالات الكثيرة والمتنوّعة؛ بدءًا من الغلاف الذّي يُعدّ أوّل عتبة من عتبات النصّ، حيث كان للألوان والصور والرسومات والنصوص الموجودة عليه معانٍ رمزية تُحيل إلى الرّواية وتتضمّن معانيها وتعكس السياق الثقافي الذّي تنتمي إليه.

بعد الغلاف، يأتي العنوان الذّي كان مكثّفا ومتضمّنًا لأهمّ ثيمات الرواية: (النّساء، منطقة خورشيد، تاريخها السري الممتدّ على مدى مئتي عام)، كما صُبغ بصبغة واقعية بعيدة عن أيّة دلالات أسطورية أو عجائبية. ثم يأتي الحيّزان المكانيُ والزمانيُ ليثبتا الدّلالاتِ الرمزية التي جاء بها العنوان والغلاف، ويضيفا إليهما مدلولات جديدة تُحيل إلى رمزية المنطقة والدّور الكبير الذّي لعبته، وذلك على مدى أجيال من الزّمن، وماهي التحوّلات السياسية والاجتماعية التّي عايشها أهلها وأثّرت عليهم وعلى أيديولوجيتهم وذهنيتهم.

تُعدّ النّساء الأربع في الرواية (رضوى، عائدة، صباح، سنية) العمود الفقري الذّي انبنت عليه الأحداث وسيرورتها، حيث مثّلت كلُّ واحدةٍ منهن تاريخًا من تاريخ المنطقة، وحملت على عاتقها روايته وسرد تفاصيله المعلنَةِ والخفية.

باختصارٍ جاءت هذه الدّراسة من أجل فكّ شفرات الرواية ورموزها المختلفة، ووضع اليد على محمولاتها الدّلالية وتوجّهاتها التاريخية والأيديولوجية، وتبقى هذه المقاربة السيميولوجية إضاءةً لوجه واحدٍ فقط من أوجه الرواية التّي ولاشكّ أنّ لها دلالات لا يُمكن حصرها في دراسة واحدة.

**المصادروالمراجع:**

1. منير عتيبة، نساء المحمودية-التاريخ السري لخورشيد في 200 عام- مجموعة بيت الحكمة، مصر، ط1، 2023.
2. سعد البازعي، ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002.
3. عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص- دراسة في مقدّمات النّقد العربي القديم، المغرب، (د ط)، 2000.
4. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
5. كريم شلال الخفاجي، سيميائية الألوان في القرآن، دار المتّقين، لبنان، ط1، 2012.

**الهوامش والإحالات:**

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص08.

2- سعد البازعي، ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002، ص177-178.

3- المرجع نفسه، ص181.

349- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص: دراسة في مقدّمات النّقد العربي القديم، المغرب، (د ط)، 2000، ص23،24.

5- كريم شلال الخفاجي، سيميائية الألوان في القرآن، دار المتّقين، لبنان، ط1، 2012، ص36.

6- منير عتيبة، نساء المحمودية – التاريخ السري لخورشيد في 200 عام، مجموعة بيت الحكمة، مصر، ط1، 2023، ص04.

7- المصدر نفسه، ص82.

8- المصدر نفسه، ص163.

9- المصدر نفسه، ص167.

10- المصدر نفسه، ص07.

11- المصدر نفسه، ص46.